قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الاسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

الاستلزام الحواري في معلقة لبيد بن أبي ربيعة–مقاربة تداولية–

of Labid bin Abi Rabi'a A Pragmatic Conversational Implicature in the Mu'allaqa Approach

م. د. مريم مكي صغير العيساوي*

كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الفلوجة

Abstract

This study presents a critical examination of contemporary mythological beliefs under the framework using on the pragmatics of persuasive discourse and the principle of of "new surrealist beliefs," foc cooperation in dialogue. It begins by acknowledging language as the vessel of thought and a tool for g as a key servin—founded by de Saussure—expressing individual needs, with structural linguistics tadawuliyyah), a relatively recent -methodological foundation. The study then shifts to pragmatics (al branch of linguistics concerned with language use in context rather than abstract structure. While advantages, it also has limitations: it remains under pragmatics offers descriptive and analytical development, lacks a unified methodology and universal principles, and does not prioritize the immediate tical linguistic context of syntactic structures. Nevertheless, its strengths lie in its general analy descriptiveness, its focus on meaning in social and linguistic contexts, and its ability to explain The study applies .literal and indirect communication-including non—communicative success and failure Mu'allaqat Labīd, examining how linguistic elements, these pragmatic principles to the poetic text of situational context, and the poet's social environment generate meaning. It draws on Grice's Cooperative -ilm alPrinciple and conversational implicature, alongside classical Arabic rhetorical sciences (e.g., ' mutakallim). Persuasive discourse, the -d alṣbayān), to investigate speaker intention (qa-ma'ānī and 'ilm al study argues, operates dialogically and must adhere to Gricean maxims (quantity, quality, relevance, ness (adab), ensuring that the speaker respects the listener's manner) as well as a principle of polite —meanings that go beyond literal expression—autonomy and context. These rules enable implicatures herence. allowing speakers to achieve purposes that would otherwise be impossible under strict literal ad Ultimately, the study demonstrates how pragmatic analysis of classical texts reveals the intricate relationship between structure, intention, and interpretation, offering a critical lens for understanding .contemporary mythological belief systems

Keywords

* **Issawi-Dr. Mariam Makki Saghir Al**

mariam.m.saghir@uofallujah.edu.iq

معلومات المقال

تاريخ المقال:
الإرسال:
المراجعة:
القبول:٢٠٢٦/٦/١

الكلمات المفتاحية:
الاستلزام الحواري، قواعد التخاطب، بول غرايس، معلقة لبيد، الكمّ، الكيف، المناسبة.

المستخلص

تقدم هذه الدراسة قراءة نقدية لظهور معتقدات ميثولوجية معاصرة تحت مفهوم "العقائد السريالية الجديدة"، من خلال عدسة التداولية (البراغماتية) وتحليل الخطاب الإقناعي. تنطلق الدراسة من أن اللغة وعاء للفكر ووسيلة للتعبير عن حاجات الفرد، مستندة إلى المنهج البنيوي الذي أسسه دي سوسير، ثم تنتقل إلى التداولية باعتبارها أحدث فروع علم اللغة، والتي تهتم باستعمال اللغة في سياقاتها الاجتماعية والتواصلية، وليس ببنيتها المجردة. ورغم ما تتميز به التداولية من كونها دراسة وصفية تحليلية تشرح أسباب نجاح أو فشل التواصل، إلا أنها تعاني من كونها حديثة النشأة، لا تزال في طور النضج، وتفتقر إلى منهج محدد وقواعد عامة، ولا تولي اهتمامًا كبيرًا للسياق اللغوي المباشر. وتطبق الدراسة هذه المبادئ على نص أدبي هو معلقة لبيد، فترى فيه نصًا حيًا يعكس لغة عصره وبيئته الاجتماعية، ويحمل قوة إيحائية ملهمة. وتعتمد الدراسة في تحليل قصد المتكلم على نظرية الاستلزام الحواري لبول غرايس، ومبدأ التعاون وقواعده الفرعية (الكم، الكيف، المناسبة، الطريقة)، إلى جانب مبدأ التأدب الذي يضمن احترام طرفي الخطاب لبعضهما. كما تستفيد الدراسة من التراث البلاغي العربي في علم المعاني والبيان، خاصة فيما يتعلق بالخبر والإنشاء وأغراضهما. تخلص الدراسة إلى أن الخطاب الإقناعي ذو طابع حواري، ولا بد أن يخضع لضوابط تضمن وضوح المعاني وعدم لبسها، مع إتاحة المجال للاستلزامات الحوارية التي تتيح للمتكلم إنجاز أغراض لا يمكن تحقيقها بالتقيد الحرفي بقواعد الحوار. من خلال تحليل معلقة لبيد، تبين الدراسة كيف تعمل العناصر اللغوية والمقامية معًا على تحقيق التواصل الفعال، وكيف يمكن لهذه الآليات أن تساعد في فهم ظهور أنماط معاصرة من المعتقدات الميثولوجية.

١. المقدمة:

الحمدُ للهِ العليمِ الهادي، والصلاةُ والسلامُ على خيرِ الأنامِ المصطفى بدرِ التّمام وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا. اللغةُ هي الوعاءُ الذي يختزنُ الفكرَ وهي وسيلة للتعبير عن حاجات الفرد، وإذا كانت دراسة اللغة قد شغلت المفكرين والباحثين، فلا ريبَ أنّ دراسة المُعلّقات قد نالت حظًا أوفر من العناية والاهتمام؛ لأنّها ترتبط فيه ارتباطا متشعبا ومتعددا، وتتأثرُ بتصورات ومؤثرات داخلية وخارجية، وتصوراتُ الدارسين واللغويين تصوراتٌ مختلفة، ومن أهم هذه التّصورات المنهج البنيوي الذي أرسى دعائمه الأولى دي سوسير كمنهج يدرس اللغة، ثم ما لبث هذا المنهج أن أصبح منهجًا علميًا له قواعده وأصوله، والتداولية من الدراسة البنيوية، وهو أحدث فروع علم اللغة، والتداولية لغةً من التداول، وهو من التفاعل، والتفاعل يلزمه طرفان مُرسل ومستقبل ومتكلم ومستمع، وهي ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية[١]، ولها عيوب ومميزات، ومن عيوب التداولية أنّ الاهتمام بها وبمبادئها تأسست حديثا، فهي في طور النضج والتطوير، وقابلة للزيادة والتبديل، وليس لها منهج محدد، وتفتقد القواعد العامّة والمبادئ التي تؤسسها، ولا تهتم بمعنى السياق اللغوي المباشر للتركيب النحوي، ومميزات التداولية تحليلية عامة ليس لها أنماط وهي دراسة وصفية، وترتبط بعلم اللغة من حيث الدلالة والاستعمال والتطور في سياق اجتماعي ولغوي وصولا إلى المعنى الكامل، وليس لها أنماط تجريدية ولا وحدات تحليل فهي معرفةُ المعرفة ضمن الأداء والإنجاز، ومهامٌّ التداولية تتضمن معنى ضمن

(١) - ينظر: المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينيكوا: ١٢، ومناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: ١٨-٢٠.

المقام المحدد لها وعلاقاته، ودراسة استعمال اللغة لا من حيث البُنية كما تفعل البنيوية، بل عن استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، مثل: العامي مع البليغ، البليغ مع الفصيح، الفصيح مع الأفصح، شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظ، مثلا: نقول: (اذهبْ) لطلبنا للذّهاب، وإذا كان في كلامنا غلظة للشخص نقولُ له(وَلِّ)، كلمة (ولِّ) لم تكن سابقا تتلفظ بمقام الغلظة للمخاطب، وتتضمن التداولية شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية للألفاظ، وأسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل المباشر، ومعرفةُ قصد المتكلم ترجعُ إلى الضبط والظهور أقرب منه إلى الخفاء والنسبية، ومعرفة قصد المتكلم هو الغرض الذي يروم إليه من يفسر نصا معينا، ويساعد في فَهْم قصد المتكلم التي تعمل مجتمعة على رصْد قصْد المتكلم، وتوضيح المُراد: العناصر اللغوية والمقامية، وهذا النصُّ الأدبي(معلقة لبيد) مع جميع مميزاته وسماته اللغوية فهو نصٌّ حيٌّ بسياق اللغة التي كُتبَ بِها، ويعكس صورة المجتمع الذي عاشه الشاعر لبيد، وواقع الشاعر وظروفه الاجتماعية المحيطة به، وفيه اللغة التي تتضمن القوة الإيحائية الملهمة، وإن أردنا الاستعانة بما كُتِبَ في الاستلزام الحواري في الدراسات المعاصرة، تستعين بما كتبه "بول غرايس" أيضا في نظرية الاستلزام التخاطبي، وكتاب نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس للدكتور صلاح إسماعيل، والدكتور أحمد المتوكل في كتابه " اللسانيات الوظيفية–مدخل نظري– " ففيه فصل نافع عن هذا الموضوع بخصوصه، ووجدنا ما نبحثُ عنه حول فكرة قصد المتكلم ممّا كتبه علماؤنا رحمهم الله في علم المعاني عند حديثهم عن الخبر وأغراضه وأضربه، وأنواع الانشاء، والتي تكفّل بها علمُ المعاني، وعند حديثهم عن علم البيانِ وأضواء البيان. الخطاب الإقناعي ذو طابع حواري؛ لذا يُراعى قواعد التخاطب التي وضع أصولها (بول غرايس Paul Grice)، والتي تنبني على مبدأ التّعاون، وهي ضوابط تضمن لكل تخاطب الإفادة في وضوح؛ فتكون المعاني المتناقلة بين المتكلم بوصفه (المقنع الموجه) و (المخاطب) بوصفه المقتنع الموجه؛ معانٍ لا لبس فيها، فمبدأ التعاون؛ يقتضي أن موجه الخطاب التربوي الإقناعي؛ يكون انتهاضه للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه، وحتى يتحقق التعاون الواجب بين الموجه (المتكلم) والموجه (المخاطب) على تحقيق الغرض من الخطاب؛ يلزم الأخذ بالمبادئ الفرعية التي حددها (غرايس)، فالموجِّه في العملية التربوية الإقناعية؛ يفيد الموجه (المخاطب) على قدر حاجته؛ أي لا يتجاوز القدر المطلوب في الإفادة، ويقول الكلام الصادق، مقدما البينة عليه؛ مراعيا مناسبة مقاله لمقامه؛ محترزا من الالتباس والإجمال؛ متحريا الإيجاز وترتيب الكلام، ومراعاة الجانب التهذيبي؛ متمثلا في (مبدأ التأدب)، الذي يقتضي أن يتأدب الموجه (المخاطب) مع الموجه (المخاطب)؛ وهذا المبدأ هو الضابط لقواعد التهذيب؛ دون إخلال بضوابط التبليغ، والقواعد المتفرعة عن هذا المبدأ؛ هي ألا يفرض الموجه (المخاطب) نفسه على (المخاطب) وأن يجعل المخاطب مختارا بنفسه وأن يظهر الود للمخاطب. طرفا الخطاب، وقواعد لكل مقام مقال، وما يقتضيه المقام، وقوته الإيحائية من تعميق النّظر الذي فيه تأويل الدلالة وتفسيرها، وهي عوامل مؤثرة في نشوء ظاهرة الاستلزام الحواريّ في العمليّة التخاطبيّة، ولها دور في إنجاز الأغراض التي لا يمكن للمتكلم إنجازها لو تقيد بقواعد الحوار بحرفيّتها، ولو تتبعنا المواطن التي كان لإعجاز البيان ونظمه في

مبادئ الحوار في الخطاب القرآنيّ، ويتضمن البحث في تفاصيله مبحثين، وهما:

المبحث الأول: الاستلزام الحواري وأهميته، ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاستلزام الحواري، ودلالتُهُ.

المطلب الثّاني: أهميّة الاستلزام الحواري لدى التداولية.

المطلب الثالث: المبادئ الأربعة للاستلزام الحواري.

المبحث الثاني: دراسة المعلقة في ضوء نظرية الاستلزام الحواري، ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: لبيد بن أبي ربيعة ومعلقته.

المطلب الثاني: أسلوب الاستفهام في الاستلزام الحواري.

المطلب الثّالث: تطبيق مبادئ الاستلزام الحواري في المعلقة.

الخاتمة

المصادر والمراجع

٢.المبحث الأول: الاستلزام الحواري وأهميته:

١.٢.المطلب الأول: الاستلزام الحواري، ودلالتُهُ:

والاستلزام من (لزم) اللّزوم: معروف ولازَمَ لِزاماً، ويدل على مُصَاحَبَةِ الشيء بالشيء دَائِمًا، يُقَالُ: لَزِمَهُ الشَّيءُ يَلزَمُهُ، وَاللِّزَامُ: الْعَذَابُ الْمُلَازِمُ لِلْكُفَّارِ[١].الاستلزام الحواري من الظواهر اللغوية ومعانيه قد تكون صريحة هي التي تحمل محتوى منجزا مباشرا صريحا، أو يكون المعنى ضمنيا، فينقسم إلى قسمين: معنى عرفي يتعلق بالاقتضاء (الإحالة)، ويتعلق بالاستلزام المنطقي (الدلالة المنطقية)، ومعنى حواري ينقسم كذلك إلى معنى خاص (الاستلزام الحواري)، وينتج عن كل هذا وجود أنماط من الأفعال حسب أوستين، وهي: فعل التلفظ، والفعل القضوي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري، ففعل التلفظ يشمل الفعل الصوتي والفعل التركيبي، أما الفعل القضوي، فيكون الاقتضاء لدى المتكلم واقتضاء الجملة، ودلالة الاقتضاء((عبارة عن جعل غير المنطوق منطوقا لتصحيح المنطوق))[٢]، ومقتضى النصِّ هو الذي لا يدلُّ اللفظ عليه، ولا يكون ملفوظًا، ولكن يكون من ضرورة اللفظ أعم من أن يكون شرعيًا أو عقليًا، مثاله: (فتحرير رقبةٍ من قبل أن يتماسا)[٣]، وهو مقتضٍ شرعًا؛ لكونها مملوكة؛ إذ لا عتق فيما لا يملكه ابن آدم، فيزداد عليه ليكون تقدير الكلام: فتحرير رقبة مملوكة، ومفهوم المقايضة: بيع السلعة بالسلعة، المقتضى: ما لا صحة له إلا بإدراج شيءٍ آخر ضرورة صحة كلامه، كقوله تعالى: {وَاسْأَلِ القريةَ}[٤]، أي: أهل القرية[٥]، وهكذا يكونُ الاقتضَاءُ هوَ الطَّلَبُ، وكما اقتضَى الدَّينَ وَتَقَاضَاهُ، أَي: طَلَبَهُ، وهو ما أُضْمِرَ فِي الكَلَامِ ضَرُورَةَ صِدق المتكلم، وَقِيلَ هُوَ الَّذِي لَا يَدُلُّ عَلَيهِ اللَّفْظُ وَلَا يَكُونُ مَنْطُوقًا لَكِن يَكُونُ مِنْ ضَرُورَةِ اللَّفْظِ[٦]. ومع الفعل الإنجازي والتأثيري توجد أفعال تنطلقُ من نظرية الأفعال اللغوية، وهي خمس: الأفعال الحكمية (تمثل الواقع صدقا أو كذبا)، والأفعال الأمرية، والأفعال الالتزامية، والأفعال التعبيرية، ويرى غرايس أن جمل اللغة الطبيعية قد لا تدل على معانيها القضوية المباشرة والحرفية، بل تخرج إلى دلالات سياقية إنجازية[٧].

(١) - ينظر: العين: ٧/ ٣٧٢، ومقاييس اللغة، باب(لزم): ٥/ ٢٤٥.

(٢) - التعريفات: ٢٢٦.
(٣) - سورة المجادلة، من الآية: ٣.
(٤) -سورة يوسف، من الآية: ٨٢
(٥) -ينظر: التعريفات: ٢٢٦.
(٦)- ينظر: كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: ١/ ٧٥.
(٧) -نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس: ١٣.

٢.٢.المطلب الثّاني: أهميّة الاستلزام الحواري لدى التداولية:

تبحث التّداولية عن المتكلم، إلى مَن يوجه كلامه، وكيف يتلفظ المتكلم بشيء، وهو يريد شيئا آخر، وكيف يفهم المتلقي قصدَ المتكلم؛ لذا تهتم التداولية بدراسة الاستلزام الحواري فهو مبدأ أساسي للسانيات التداولية، وركيزة أساسية من ركائز تداولية الخطاب، وآلية من آليات صنع الخطاب، يؤسسُ لتواصلٍ وتفاعلٍ ضمني أو غير معلن بين المتخاطبين، وممّا يميّز اللغة البشرية الحيّة، وربط أساليب اللغة بأنماطها. نتناول في هذا البحث الاستلزام الحواري في معلقة لبيد بن ربيعة، وهذه المعلقة لا تخلو من ملابسات التخاطب، وبنية التلفظ بين صفحاتها، ونرى تطبيقات التداولية على هذا التراث العظيم وهذه المعلقة النفيسة، وكيف نكشف البُعد التداولي من نظرية الاستلزام الحواري، والكشف عن الآليات التعبيرية في أبيات المعلقة؟ على ضوء مقال المنطق والمحادثة للكاتب والفيلسوف هربرت بول غرايس، ونعتمد على قواعد الحوار. الاستلزام الحواري يقبل التأويل بناء على قاعدة الكم، والكيف، والملاءمة والطريقة، ويكون التواصل اللسانيّ عن طريق سلسلةٍ كلاميّةٍ متشكلة وفق نِظام لغويّ مخصوص، متفق عليه بين المرسل والمرسل إليه، والمعاني الاستلزامية تحظى بالتوليد والتأويل بصورة آلية ولا شعورية ومنتمية إلى مستوى التداوليات الصغرى أكثر من انتمائها إلى الكبرى التي هي إجراء عن استعمال صريح ويحتكم إلى مبادئ التعاون العقلاني، والصغرى هي إجراء خفي يعوض جزئيا التداوليات الكبرى في الإخفاق أو التعذر[١]، وعملية التواصل يسهم المتحاورون فيها بالحوار، يصطلح عليه غرايس (Grice) مبدأ "التعاون"، وتحكم التعاون أربعُ قواعد، هي: الكمّ، والكيف، والملاءمة أو(المناسبة)، والطريقة، التي ترتكز على مبدأ التعاون، تقوم بضبط العمليّة التحاوريّة في المقامات العاديّة، وهذه القواعد قد تتعرض إحداها أو أكثر للخرق المقصود من أحد طرفي الخطاب، فتنشأ ظاهرة الاستلزام الحواريّ، وأسلوب الاستلزام واضح خال من اللبس، وجمله صادقة لا تحتمل الكذب، ودون إسهاب شديد ولا إيجاز مخل[٢]، وينتقل التواصل من الأسلوب المباشر الى الضمنيّ، الذي يُجاوز المعنى اللّغويّ للعبارة إلى المعنى المقصود لدى المتكلّم، وتكون للعبارات اللُّغويّة دلالتان: عرفيّة، وإيحائيّة، ويكون المعنى تابعًا لقصد المتكلّم، ويفهمه المتلقي من المعطيات المقاميّة للحوار، فأراد أنْ يقيم مَعبرًا بين ما يحمله القول من معنًى صريح وما يحمله من معنًى متضمَّن يقصد المتكلّم[٣]، الاستلزام الحواريّ من الجوانب التي استحوذت على اهتمام الدرس التداوليّ، بيد أنَّه يتداخل بشكل كبير مع مفهومين تداوليين آخرين وهما: الأقوال المضمرة، والأفعال الكلاميّة غير المباشرة، وهذا الخلط من شأنه أنْ يُوقع القارئ في تيه مدلولات هذه المفاهيم، وما يرنو إليه البحث هو بيان الحدود الفاصلة بين مفهومي الأقوال المُضمرة والاستلزام الحواريّ، يمكن ايجاز مفهوم الاستلزام الحواريّ بأنَّه(شيء يعنيه المتكلّم ويوحي به ويقترحه ولا يكون جزءًا مما تعنيه الجملة بصورة حرفيّة[٤]، ويمكن **تعريفه بأنَّه: استراتيجيّة تخاطبيّة يُعبِّر بها المرسل عن قصده بما يغاير المعنى الحرفيّ للخطاب،**

(١) - ينظر: المعنى الحرفي: ٢٥.

(٢)-ينظر: آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل: ١٥٠.

(٣) -ينظر: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: دراسة دلالية ومعجم سياقي: ٩.

(٤)- نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس: ٧٨.

معتمدًا قدرة المتلقي على استنباط ذلك المعنى، ومستثمرًا في ذلك العناصر المقاميّة التي يُنجز فيها الحوار[١]، ونظرية الاستلزام الحواري نالت قسطا من اهتمام المعنيين بالشأن التداوليّ، ولكن القدامى لم يغفلوا وجودها في اللّغة ووصفها، وقاموا بتحليلها تحت مسميات تختلف عن مسميات المحدثين، وبينوا قواعد الالتزام بالحوار ومواطن خرقها، وفي قوله تعالى: (يسألونك ماذا ينفقون قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِن خَيْرٍ فَلِلوَالِدَينِ وَالأقربين وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِن خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)[٢]، ((السؤال ضربان: سؤال جدلٍ وحقّه أنْ يُطَابِقَه جَوابُه لا زائدًا عليه ولا ناقِصًا عنه، وسؤالُ تعلُّمٍ وحقُّ المُعَلِّمِ أنْ يصيرَ فيه كطبيبٍ رفيقٍ يتحرّى شِفاءَ سقيمٍ فيَطْلُبَ ما يَشفيه طلَبَه المريضُ أو لم يَطْلُبْه))[٣]، وأوضحوا طرفي الخطاب، وقواعد لكل مقام مقال، وما يقتضيه المقام، وهذه عوامل مؤثرة في نشوء ظاهرة الاستلزام الحواريّ في التخاطب، ولها دور في إنجازِ الأغراض التي لا يمكن للمتكلم إنجازها لو تقيد بقواعد الحوار بحرفيّتها، والطِّيبيّ في حاشيته تتبع مواطن مبادئ الحوار في الخطاب القرآنيّ، ووصْف الظاهرة وتحليلها، تحليلًا يضبط علاقة المعنى الصريح بالمعنى المستلزم مقاميًّا في قوله تعالى:(ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)[٤]، ((حاصل الكلامين أن (لو) الثانية مجاز لمجرد الاستلزام، لا لامتناع الشيء لامتناع غيره.....فيجب أن يُجعل الإسماع الواقع جواباً لـ (لو) غير الإسماع الواقع شرطاً للثاني، أي: ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم إسماعاً يحصل لهم به الهدى والقبول، ولو أسمعهم لا على ان يخلق لهم الهدى إسماعاً مجرداً لتولوا وهم معرضون))[٥]، ولقوله تعالى: (إنّما يفتري الكذبَ الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون)[٦]، وكلمة (الكاذبون)((مطلق فلا فلا يقدر في أي شيء كذبوا، وهو أيضاً على وجهين: إما أن يكون قوله: (إِنَّمَا يَفتَرِي الكَذِبَ الذينَ لا يُؤْمِنُونَ) عاماً والكلام واردٌ على الاستدراج، المعنى: اعلموا أن المفتري منا ومنكم: الذي لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا بعقابه، فلا يبالي بالكذب، وقد ظهر أنكم الموصوفون بذلك، فيلزم أنكم الكاذبون، ودل على هذا الاستلزام الفاء في قوله: "فهم الكاذبون"))[٧]. البلاغة التي تقع في الكلمة على مستوى انفرادها من مجاز وحقيقة وجناس هو الذي يكون على البيان على الجملة، ومثال إطلاقنا لكلمة الورد الجوري للوردة نفسها، والمراد بها حقيقة الورد، أو إطلاقنا لهذه الكلمة على التشبيه لحمرة الخد بالورد على مستوى بلاغي، وكذلك التعجب السّماعي بكلمة (لله دره)، أو القياسي بصيغة (ما أفعله، أو أفعل به)، ومن الاستلزام التعجب على مستوى الجملة الاستفهامية، مثل (كيف تقرأ وأنت مريض؟ قد يُراد بالكلمة أو الجملة معنى الحقيقة، وهو إفادة المخاطب حكم الكلام، أو على المجاز يُرادُ به لازم معناه، وهذا نظام اللغة، ونصٌّ قصيدةُ لبيد هو حقيقةٌ أراد به المجاز، لقد أبدع وأجاد في إعطائنا حِكَمًا تكون على مستوى قرون، ليت شعري أيُّ قصيدةٍ هذه، لوحةٌ فنية وسجلٌ تأريخي مدونٌ، وهي وحدها ديوانٌ شعريٌ مطبوع، ومعجمٌ لغويٌ ثري، إذ يُراد بالاستلزام الحواري بيان الأَغراض التَّواصليّة التي تحققها، وكيفية

(١) - ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٣٧٠.
(٢) - سورة البقرة، من الآية: ٢١٥.
(٣) -تفسير الراغب الاصفهاني: ١/ ٤٤٤.
(٤) -سورة الأنفال، الآية: ٢٣.
(٥) -فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، حاشية الطيبي على الكشاف: ٦٢/٧.
(٦) -سورة النحل، الآية: ١٠٥.
(٧) -فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: ٩/ ١٩٩.

توصل المتلقي إلى المعنى المقصود منها، وفكرة الاستلزام الحوارية جوهرية وهي أنّ جمل اللغة تتضمن معنيين: المعنى الظاهري غير مقصود، ومعنى ضمني هو المقصود.

٣.٢.المطلب الثالث: المبادئ الأربعة للاستلزام الحواري:

المبادئ الأربعة للاستلزام الحواري من الجمل الإنجازية التي تحمل معاني سياقية ضمنية للتعاون بمبادئه الأربعة: مبدأ الكم، ومبدأ الكيف، ومبدأ الملاءمة، ومبدأ الطريقة، ويتحقق هذا الاستلزام حينما تخرق إحدى القواعد الأربع، ويدرج كرايس هذا النوع من الدلالة في تصنيف عام للمعاني التي يمكن أن تدل عليها العبارات اللغوية، وتنقسم الحمولة الدلالية للعبارة اللغوية إلى معان صريحة ومعان ضمنية، وترتيب المكونات داخل الجملة ناتج عن التفاعل بين أصناف الوظائف الثلاثة: الدلالية والتركيبية والتداولية[١]، ونرى هذه المعاني الضمنية إذ تظهر توحش المكان بـ(تأبّد غولها)، وتوحش الغزال الظباء العوذ من عدم وجود الأنس، (تأجّل في الفضاء) تدلُّ على السّعة، ودليل على خلوِّ ديار نوار من البشر. تشمل حمولة المعاني الصريحة: المحتوى القضوي (معاني مفردات الجملة مضموما بعضها إلى بعض)، القوة الإنجازية المشار لها بصيغة الجملة كالاستفهام والأمر والإخبار، والمعاني الضمنية: عرفية، وحوارية لا تتغير بتغير المقام والسياق، والمعاني الحوارية تتولد طبقا للمقام التي تنجز فيها الجملة، وتضمنت عرفا المعنى المقتضى أو الاقتضاء، والاستلزام المنطقي، ومنطق الروابط القضوية أسهم إسهاما في علم الدلالة المنطقي، وذلك عندما تفسرت فيه جوانب من روابط اللغة الطبيعية، وهذه الجوانب هي شروط الصدق، وبمقتضى الصدق تكون الجملة صادقة[٢]، والمعاني الضمنية المتولدة عن السياق، فهي نوعان: المعاني الناتجة عن سياق خاص والمعاني البالغة من العموم أنها لم تعد مرتبطة بسياق خاص، أو طبقة معينة، ويصطلح غرايس على تسمية هذين النوعين من المعاني الضمنية: الاستلزامات الحوارية الخاصة" و" الاستلزامات الحوارية المعممة" على التوالي[٣]، مثال: هل تُعيرني القلمَ الأحمرَ؟ المعنى القضوي في جمع الكلمات وأجزاء الكلمة المورفيمات: هل-تعير- ني- القلم الأحمر، والقوة الإنجازية الحرفي في الاستفهام(هل)، والتنغيم، وإذا جمعنا المعنى القضوي مع لإنجاز الحرفي يتشكل المعنى الصريح، المعنى الضمني في الجملة يتألف من معنيين: الاقتضاء (اقتضاء وجود قلم أحمر)، والاستلزام المنطقي (اللون الأحمر للقلم)، واستلزام حواري خاص، وهو معنى الالتماس، أي: التماس المتكلم من المخاطب أن يعيره القلم الأحمر، ويمكن التمثيل للاستلزام الحواري المعمم بالجملة المنفية: ألم أعطك كل ما عندي؟ وهذه الجملة في مثل هذا النوع تفيد معنى الإثبات في جميع السياقات[٤].

٣.المبحث الثاني: دراسة المعلقة في ضوء نظرية الاستلزام الحواري، ويتضمن:

المطلب الأول: لبيد بن أبي ربيعة ومعلقته.

المطلب الثاني: عناصر أسلوب الاستفهام في الاستلزام الحواري.

المطلب الثّالث: تطبيق مبادئ الاستلزام الحواري في المعلقة.

(١) -ينظر: اللسانيات الوظيفية-مدخل نظري-: د. أحمد المتوكل: ٧١.

(٢) -ينظر: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس: ٨٢.

(٣) -ينظر: اللسانيات الوظيفية-مدخل نظري-: ٢٨.

(٤) - ينظر: اللسانيات الوظيفية-مدخل نظري: ٢٩-٣٠.

١.٣.المطلب الأول: لبيد بن أبي ربيعة ومعلقته: أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهي قبيلة مضرية، وأمه من بني عبس، وكان في الجاهلية شريفا جوادا شجاعا شاعرا، وقد أدرك الإسلام وأسلم[١]، وعمّر وهو شاعر مخضرم[٢]، وكان يقال لمالك: الطيان؛ لأنّهُ كان طاوي البطن، وبعضهم يقول: قيس عيلان، قيس بن النَّاس بن مضر، كان لمضر الياس والناس، ابنا مضر، وكان وفد أبو براء، وهو عامر بن مالك بن جعفر، ملاعب الأسنة[٣]، وأنشد هذه القصيدة قبل إسلامه، فقد أدرك الإسلام، وأسلم وتنسّك، ونزل الكوفة ومات سنة ٤١هـ عن ثلاثين سنة ومائة سنة، وهو من فصحاء العرب وشعرائهم ولما أسلم لم يقل شعرا، وقال يكفيني القرآن، ((إنّ أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل))[٤]، وجعلَهُ ابن سلّام من الطبقة الثالثة، وسُئل لبيدُ مَنْ أشعرُ النَّاسِ، قالَ: الملك الضليل، ثمّ الغُلَام القَتِيل، يعنى طرَفَة، ثمَّ الشَّيْخ أَبُو عقيل يعنى نَفسه[٥]، ولبيد من المؤلفة قلوبهم أسلم قبل صلح الحديبية قبل فتح مكة، عاش ٣٠ سنة في الإسلام وليس من المدنيين ولا من المهاجرين، كفَّ لبيد بن أبى ربيعة –وهو أشعر العرب– عن قول الشعر منذ سماعه لنغمة القرآن،((إنّه أنشدها النابغة فقال له: اذهب فأنت أشعر العرب))[٦]، نُعِت الجاهليون الجاهليون بالجهل؛ بسبب جهلهم الديني والذي يتنافى مع أخلاق الإسلام ورقيّ الإسلام، وهم أصحاب ثروة شعرية جميلة، ولديهم معرفة بالطب والفلك وأدوات الحرب وفنون القتال، وتقعُ منطقة شاعرنا المخضرم أقصى الجنوب الغربي من قارة آسيا، ويحدها من الشمال بلاد الشام، والخليج العربي من الشرق، والمحيط الهندي من الجنوب، والبحر الأحمر غربا، وتقسم سلسلة جبال السراة الجزيرة العربية إلى قسمين: الحدود الغربية منها ما انحدر نحو البحر الأحمر تسمّى (تهامة)، وما ارتفع نحو الشرق تسمى (نجد)، وتسمية جبال السراة ب(الحجاز)؛ لأنّها حجزت بين تهامة ونجد، ومناخها حارٌ وجافٌ، والأمطار قليلة، الزراعة في أماكن سقوط الأمطار؛ وبسبب قلة الغابات فيها أضحت الحيوانات الوحشية قليلة، وتوجد في صحرائها بقر الوحش والظباء والنّعام، والغزلان، ويوجد والحمار الوحشي، وتوجد الحيوانات الأليفة عند الجاهليين، والجاهليون يعتمدون الحيوانات الأليفة، وغذاؤهم في الصحراء(والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافعُ ومنها تأكلون، ولكُم فيها جمالٌ حين تُريحون وحينَ تَسرحون، وتَحملُ أثقالَكُم إلى بلدٍ لَم تكونوا بالغيه إلّا بشقّ الأنفس))[٧] ، وتختلفُ منازلُ العرب، وطرق حياتهم تبعا لاختلاف ظروفهم، وسكّان المدن والري يسمونه الحظر، وسكّان البادية يسمون بدوا، عاش الحظر حياة استقرار، والبدوُ كانوا يعشقون الصحراء والتنقل، وحياةُ البدو لم تكن فيها منازل مستقرة، وخيامُهم تُصنَعُ من جلود الحيوانات يحملونها معهم في ترحالهم، هم إلى ذلك ضيق المكان وكثرة الحروب والغازات والتوسع الأوس ونظم مصادر وتوسع الأسري ونظم مصادر الماء والظروف الطبيعية المفاجأة كما حدث للعرب بعد سيل العرِم وانهيار سد مأرب ونسجد حول الرحلات الجاهلية قصائد كثيرة حتى ذكر الأحبة وديار عند معظم الشعراء الجاهلين، وتتسم الأمور حياتهم

(١) -ينظر: أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ٢١/١.
(٢) -ينظر: تاريخ آداب العرب، الرافعي: ٣/ ٤٣.
(٣) -ينظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٥٠٥، والمنصف لابن جني شرح كتاب التصريف: ٣٩٠.
(٤) -الشمائل المحمدية، الترمذي: ١٤٦.
(٥) -ينظر: طبقات فحول الشعراء: ١/ ٥٤، وتاريخ مدينة دمشق: ٩/ ٢٢٧.
(٦) -ديوان لبيد: ١٠٦، وصبح الأعشى في صناعة الانشا: ٢: ٢١٤.
(٧) -سورة النّحل: الآيات:٥،٦،٧.

بالخصال والشمائل، خياركم في الإسلام خياركم في الجاهلية، عندهم صفات مثل الاخلاص والأمانة والوفاء والسهر على المصلحة العامة، وتتمسك القبيلة بكل فرد من أفرادها ما دام يسير قانونها، وتخلع القبيلة مَن يخرج عن قوانينها، والرحيل في عادات العرب، والسلوك الاجتماعي وما نراه في المعلقة من حماية الجار ومساعدته، ويوقدون نارا يهتدي بها الضيف وعابر السبيل، ومن عادتهم شرب الخمر ولعب الميسر والصيد، ونلمس من كلمات المعلقة قوة شخصية العربي، وقد اختار ما يناسبُ قواعد الاستلزام الحواري بقوله[١]:

أقضي اللبانة لا أفرِّط ريبة أو أن يلوم بحاجة لوّامها

نلاحظه رأيه الحازم باختياره لـ(لا أفرط ريبة)و(أن يلوم)، وهذا هو واقع العربيّ وهويته، وقد تفردت معلقة لبيد بخلوها من أسلوب النداء، المعنوي والحقيقي، ورأي أبي عمرو بن العلاء في شعر لبيد أنّهُ مستحجرٌ كأَنّهُ يقلع حجارة، وليس شعرُ لبيد صعبا على أبي عمرو بن العلاء، كأنما يقلع الحجارة ولكنّهُ ربما يقصد السّامع لمعلقة لبيد أوّل مرة، وربّما الصعوبة في شعره زادت من جمال المعلقة وأبياتها، والشعر لا يعطيك المعلومةً سهلة؛ لذا ازدانت المعلقة بأسلوبها الفني، وفي المعلّقة نوع من الإبهام، وهو ما يؤدي إلى انتهاك مبدأ الكم من قواعد الاستلزام، ومنه تعويض عن كل الأشهر وكل السنين بـ(حلالها وحرامها)، وتعبيره بـ(صمّا خوالد)؛ لأنّ الجاهليين يحبون الصمت عندما يخاطبون الديار حلالها وحرامها، والديار منقطعة حلالها وحرامها، وكلمات المعلقة مبهمة، وبعد التّمعن في القراءة للمعلّقة تُصبح مفهومة عند قراءة سياقها ومقامها، وفيها فخامة جمال، وعند قراءة المعلقات نلاحظ أمرَ قيام كل معلقة على ثلاثة مقومات: الابتداء بذكر ووصف الديار والدِّمن والأثافي والطلل، ذكر الحبيبة ووصفها، ثم الموضوع الرئيسي للمعلقة، والحفاظ على عناصرها ومقوماتها، المعلقة من بحر الكامل، وهي ميمية، وهذه الألف للإطلاق، الألفات تصحبها موسيقا منتشية مرحة[٢]، نهايات عجز البيت وقفلات القصيدة رائعة جدا، بعد كلام لبيد عن الطّلل يتحدث عن صاحبته في أول القصيدة ويذكرها، ولكنه ليس متهالكا عليها ولا متحرجا من الصّدّ عنها، بدليل أنّه ذكر نوار في المرة الثانية بحرف الإضراب (بل)، وأنّه يبادل القطيعة بالقطيعة والهجر بالهجر، وأنّه يبادر الدِّجاج الديكة في وقت السَّحر، ليشرب الخمر صباحا، حين هب نيام الوقت. بعد الكلام عن الخمر تكلم عن كرمه، بقوله:

وغداة ربح قد كشفت وقرة إذا أصبحت بيد الشمال زمامها

وأنّه يدفع قر الشتاء وريح الشمال كلمة الشمال ريح باردة ويدفع آثار البرد بإطعامهم ودفعت ماذا دفع آثارها، حين أصبحت ريح الشمال تقود البرد، ريح الشمال استعارة مكنية شبّه الشّمال بإنسان يمسك الناقة، وأبقى شيئا من اللوازم وهو اليد، وهذه الاستعارة المكنية تحمل الدلالة العميقة لشدة كرمه وكرم قومه[٣]، قومه[٣]، وفيها البعد الخطابي التداولي وإثبات فاعلية الاستعارة وذلك؛ لأنّها تعدُّ ظواهر لغوية ترتبط بأحوال المخاطبين. وبعدها تكلّمَ عن شجاعته فرط مسرع وشاحي إذ غدوت لجامها، أي: هو مستعد لشجاعته، وقريب جدا من مكان العدو وتمركزه، الدلالة العميقة الذي يحمله هذا البيت أنّه قريب جدا من تمركز الأعداء، وكثيرة مشهد الإنسان القوي في الدفاع عن

(١) -ديوانه: ١١٣.

(٢) -المرشد إلى فهم أشعار العرب:٣٢٢.

(٣) - ينظر: دلائل الإعجاز: ٤٣٢-٤٣٦، وأسرار البلاغة: ٤١.

حقوق العشيرة، فالضيف والجار الجنيب، وهذه الدلالة العميقة تحمل دلالة ظاهرة لكرمهم، ومن باب أولى أنّ الفقراء استفادوا، وممّا زاد جمالية تصوير مشهد كرم قومه هو إضافته لعنصر التشبيه، كأنّهم هبطوا في أرض تبالة التي هي مجاورة للطائف، بقوله[١]:

فالضَّيفُ والجارُ الجنيبُ كأنّما هَبَطَا تبالَةَ مُخْصِباً أهْضَامُها

وأنّ الفقراء يؤون إلى الخيمة وذكر لبيد(الطنب) وهو حبل الخِباء[٢]؛ لأنّه أبلغ في المدح لكرم عشيرته من ذكر الخيمة، وكما نقول قصدتُ بابك والباب جزء من البيت أبلغ في المدح والاستنجاد من: قصدت بيتك، والرّذية الناقة الضعيفة شبه المرأة الفقيرة المسكينة وحذف المشبه فهو من باب الاستعارة وأما التشبيه مثل البلية قديما إذا مات الرجل يربطون ناقته بقبره حتى تضعف ناقته وتموت، وتكلّم عن البقرة الوحشية التي تركت القطيع ذهبت فزعة معفر غفرت ولدها بالتراب عند افطامه وإسحق حالق، أي: جف الضرع الممتلئ وتوجست رز والأنيس سقامها ومشكلتها بالأنيس، لم تره عن ظهر غيب حين يقتنصها، إذ هو سقامها، إيّاك أنْ تتوقع قدوم الأنيس خير، بل هو شر يجلب لها الهلاك، فبتلك الناقة إذ رقص اللوامع، أي: بطليح الأسفار، شبهت بالإتان الحامل بالبقرة الوحشية، والرّقص اضطرب رقص السراب الذي يكون أول شروق الشمس في وقت الضحى، وابتدأ شاعرنا لبيد بوصف الطلل، ويثنّي بالغزل، ثمّ ذكر طليح الأسفار، وهي ناقته الكآلّة، وأشار إلى ناقته بقوله[٣]:

فبتلك إذ رقص اللوامع في الضحى واجتاب أردية السراب إكامها

فبتلك الناقة وقت اضطراب السراب إذا صرح باسم السّراب، والآكام المناطق المرتفعة من الأرض، والاستعارة المكنية على التجريد، وهي حذف المشبه به مع إبقاء شيء من لوازمه شبه الآكام بأناس يرتدون ثيابا حذف المشبه به وهو الناس وذكر لوازمه وهو الارتداء وذكر شيئا من لوازم، وذكر من لوازم المشبه وهو الآكام الهضاب، والسراب لوازم المشبه، وأبقى لوازم المشبه به وهو الارتداء، الاستعارة مكنية على التجريد، وإذا ذكرت لوازم المشبه به فهي ترشيح، الوقت قد قرُبَ من الظهيرة، يعلو السراب حتى يصبحا لباسا يغطي التلال، ويختم رحلته بطليح الأسفار بوصف البقرة الوحشية وصفاً دقيقاً قائماً على تجربة ومُجسداً لمعرفة؛ ولكن على أساس ما لناقته بتلك البقرة الوحشية من علاقة، والتي منها التشابه في السرعة، ويختتم معلقته بذكر مفاخرته بنفسه وبعشيرته، فمن مفاخره بنفسه سن لهم آباؤهم سنة وعلّموهم، وهو لا يتكلم عن نفسه فقط، بل عن عشيرته أيضا، بيوت القبيلة والعشيرة، يوسع دائرة المدح والافتخار، ويكللون اللحم يكفلون اللحم خلجا وهنا اختار كلمة(يكللون) وكأنّهم يضعون اللحم على شكل إكليل وبشكل دائري والمرق يقدّم مع اللحم، وكما نعرف أنّ هذا هو من أفضل طعام العرب واختار(خلجا)،انظر إلى هذه الصورة لطبق اللحم الذي يكلل المرق التي هي كالخليج، إنّها صورة متناهية الدقة في كاميرة شعرية معلقاتية، إذا الرياح تناوحت في الشتاء، فهم الكرام يدفعون ثقل الشتاء ببرده وريحه بهذه الموائد المشرعة في الشتاء بإعطاء المحتاج ودرء البرد عنه. ينتقل لبيد إلى منظر الحيوانات التي الهادئة المستقرة تأجل ساروا مجتمعين، من أولاد الضأن الخراف العوذ، ثمّ أخبر عن الحمار الوحشي الذي كان متواجدا في جزيرة العرب، وعن أطفاله التي تسير معا ترقص في الفضاء بهامها، تشبيه لبيد ناقته الصهباء بأتان الحامل كيف

(١) ديوانه:١١٥.
(٢) ينظر: العين، باب(الطاء والنون والباء): ٧/ ٤٣٨.
(٣) ديوانه: ١١٣.

يحرسها ويحميها الحمار الوحشي، ويعرض نفسه للخطر، وهنا أيضا يظهر أسلوب الاستلزام الحواري إذ يحمل معنى باطنا يقصد لبيد نفسه، وكيف يدافع ويلوذ عن قومه، وأنّه حامي الحقيقة وهو المعنى الخفي، ومن ثمّ تشبيه لبيد لناقته بالبقرة الوحشية المسبوعة والتي تركت ابنها فأكلته السباع فتركت القطيع لتبحث عن ابنها، ويصور المطر وكيف هي الوحشية تجتاح آصل تحاول تنتقل من جذع شجرة تهرب من المطر ومن السبع أم فزعة احتمت بالشجرة سبعة أو ستة أيام لم تطعم فماذا سيحصل بضرعها عن حالق الضرع الممتلئ، وأوضح لبيد حجم مأساة هذه البقرة لجفاف ضرعها لم يبله إرضاعُها وفطامها وإنّما بسبب الجوع والخوف والعطش، هنا توضّح دلالة من دلالات التواصل اللساني وتوضيح جفاف الضرع للهلاك. تتجلى الرؤية الجمالية من توضيح الصوت الخفي، إذ نرى أن الصورة اللسانية التداولية التي نقلها لبيد هي صورة حيّة تجسدت فيه معالم الصورة ونقل لنا الصوت مع الصورة، وهذا الصوت الخفي كما سمّاه(رز الأنيس) توجست خافت الروع وصل اليها قبل أنْ تره يعطيك حجم التوتر الروع من الشيء المرئي، والأنيس ليس المقصود هنا ما يؤنس عن ظهر غيب، «إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن، فإنه إذا أدرك، حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أدركه منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك، أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصور الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم»[١]. عدد الأمكنة التي ذكرها لبيد بلغ تسعة عشر، واشترك مع امرئ القيس والنابغة الذبياني في معلقتهما في (وجرة)، وكما تفرّد لبيد بوصف البقرة الوحشية وأبدع وأجاد تفرّدَ بوصف المطر بل وشكل سقوط المطر وحباته والسّيل، وحسبُه بيته الذي وصفه الفرزدق أنه من سجدات الشعر؛ لإيلاع العربي بذكر الماء ووصف المطر ووصف السيل، حين قال لبيد[٢]:

وجلا السُّيولُ عن الطلولِ كأنها زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَها أَقْلاَمُها

فهم يتبعون مواطن سقوط المطر، ودعاؤهم لِمَن يحبون بالسُّقيا؛ ولذا نرى عناية لبيد بالصورة المائية، وورد ذكر الماء في المعلقة ثماني مرات، وقد رأينا صورة أرض لبيد وكيف عكست شعريته ونقلت لنا أجواء أرضه، بل عندما نقرأ المعلقة كأننا نتنسم هذا النسيم العبق الذي علا أو غلا فيه فروع الأيهقان، وكأننا شربنا من مدافع الريان، والتي كسا فيه الربيع الأرض حلة خضراء، وكأننا تمشينا في الأرض التي تشبعت من مياه الأمطار، بل سمعنا صوت الرعد الذي تجاوب إرزامه في هذه الأرض، وكيف توسط الحمار الوحشي وأتانُهُ النهر الصغير، وقد قلعا النبات الذي ينبت في النهر، وهذا أيضا من الصورة الحية، الذي استدعى ظهور مستلزمات حوارية وراء اللفظ، وقوله عن قطع سيرة الذي يقطع ولا يصل، قوله[٣]:

وَاحْبُ المُجَامِلَ بالجزيلِ وصَرْمُهُ باقٍ إذا ضَلَعَتْ وزاغَ قوَامُهَا

أي، أعطِ المجامل الذي يظاهر بالمودّة، وليس صادقا فيها القطيعة. زاغ قوامها: إذا مال ولم يستقم، وتحدّث وعن التي تجتاف آصلا، أي: مرتفع الفروع، متفرقاً. العجوب: جمع: عجب، وهو أهل الذنب من الرمل. أنقال: جمع: نقا، وهو ما ارتفع طولاً من الرمل.

تَجْتَافُ أَصْلاً قالِصاً مُتَنَبِّذاً بِعُجُوبِ أَنْقاءٍ يَميلُ هُيَامُها

جاء قوله[٤]:

(١) - منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٨-١٩.
(٢) - ديوانه: ١٠٨.
(٣) - ديوانه: ١٠٩.
(٤) - ديوانه: ١١٢.

حتى إذا انحسرَ الظلامُ وَأسْفَرَتْ بكَرَتْ تزلُّ عن الثَّرَى أزْلامُها

ونرى فطنة لبيد حين استعمل الكلمة المألوفة(قوائم) للتعبير الرّمزي عن الاستقامة فدونك المعنى الرمزي الدلالي، واستعمل كلمة (أزلام) عند الدلالة الظاهرية لمعنى ظاهري، عبّر به عن دخول قوائمه في الأرض، فهو ينتقي الكلمات المعبرة لتوضيح الدلالة وبُعْد مرمى الدلالة دون تعقيدها. تمّ ذِكر لبيد الغدران(النِّهاء) وربطها بالحيوان، هنا ساهم لبيد في إيضاح معانيه الشعرية على طريقة لم تشبه طريقة امرئ القيس الذي ربط الغدير بابنة عمِّه فاطمة، وتجلّت هذه الظاهرة ببيان وإيصال ما يريد إيصاله بأمثلته عن علاقة الحيوان بتلكم الأرض، هذا الصّرح الشعريّ ضمّ بقرة وحشيّة فقدت جُؤْذَرَها بعد أن أصابه الصيّادون بسهامهم فقتلوه ولم تستطع حِمايَتَه:

صادَفْنَ منها غِرَّةً فأَصَبْنَها إنْ المَنَايَا لا تَطيش سِهَامُها

ظلّت نتظر وليدها عند غدران صعائد، وتُخفي نفسها عند الشجيرات طوال سبع ليال:

عَلِهَتْ تَرَدَّدُ في نِهاءِ صُعَائِدٍ سَبْعاً تُؤَاماً كامِلا أيَّامُها

بحثُ البقرة الوحشية عن جؤذرها فساخت رجلها بالتراب، فيوافق خروجها جمع من الصيادين فتهاجمها كلابهم، وتصيبها سهامهم، وتقتل الكلبتين، وتطلق بعدها قوائمَها للريح حتى لا تُصيبَها سهامَ الصيّادين، فقد فقدت جؤذرها، وكادت أن تفقد نفسها عند نهاء صعائد، والمعنى غير المباشر الذي رامه لبيد في هذه الملحمة وتغير فيه المقصد تبعا لتغير الظروف، هو مأساة الماء، أضحى الماءُ مصدرا للشقاء والموت، لا البقرة الوحشية ارتوت منه حينما سلخ عليها جمادى ولا شبع جؤذرها من لبنها، ولا الأرض التي أضحى فيها الجود والرهام والغدير قد وجد فيه لبيد أحبابه.

٢.٣.المطلب الثاني: أسلوب الاستفهام في الاستلزام الحواري:

عناصر الاستفهام الحقيقي هي: سائل يجهل المعلومة، مسؤول يتوسم فيه امتلاك المعلومة، وتعبير لغوي موجه بأداة استفهام أو تنغيم صوتي يقوم مقام الأداة، وإذا توفرت الأركان الثلاثة بتلك الشروط، فهذا الاستفهام الحقيقي، وإنْ غاب ركن أو قيد وصفي فقد خرج الاستفهام إلى سياق آخر، ويكون المراد غير الاستفهام وقد يكون: التعجب أو السخرية أو التمني أو التوبيخ أو الإرشاد ..... الخ هذه المعاني أو هذه الأغراض تُسمّى: الاستلزام الحواري، كقول لبيد[١]:

ووقفت أسألها وكيف سؤالنا؟ صمّا خوالد ما يبين كلامها

وكقول الله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم: (قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إنْ كانوا ينطقون)(٢)، إنّها روعة العربية في أسلوب الاستفهام، عندما قال عن الصخور أنّها خوالد: جمع: خالدة وهي الباقية، وزاد التوجع لسؤال الصخور أنها لا تُبينُ كلامها، يعني هو يزيد الأسلوب روعة حين خرج سؤاله لطريق التعجيز والتبكيت، هنا تجلت جمالية الاستلزام الحواري بخرق مبادئه والخروج عن الكيفية في حواره؛ لسؤاله الصمّ الخوالد ((ومن سنن العرب التوهم والإيهام وهو أن يَتوهم أحدهم شيئاً ثم يجعل ذلك كالحق. ومنه قولهم: "وقفتُ بالربْع أسأله" وهو أكمل عقلاً من أن يسأل رسماً يعلم أنه لا يَسمع ولا يَعقل لكنه تفجع لما رأى السِّكْنَ رحلوا وتوهَّم أنه يسأل الربع أن انْتَووْا))[٣] وكقول لبيد[٤]:

أفَتِلْكَ أم وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ خَذَلَتْ وهادِيَةُ الصِّوارِ قِوَامُها

---

(١) - ديوانه: ١٠٨.
(٢) - سورة الأنبياء، الآية: ٦٣.
(٣) - الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، باب التوهم والإيهام: ١٧٢.
(٤) -ديوانه: ١١١.

وكقول لبيد(١):

أوَلم تكنْ تدري نَوَارُ بأنَّني وَصَّالُ عَقْدِ حبَائِلٍ جَذَّامُها

حيث ذكر محبوبته (نوار) في معلقته مرّتين، الأولى كانت في مقام التحسر والاشتياق فقد نأت وحلّت بمنطقة (فَيد) وهي اسم بلد وهو مؤنث إذ فيه معنى التأنيث، وهو ممنوع من الصّرف(٢)

قال لبيد في ترك إجراء فيد:

مُريةٌ حلت بفيدَ وجاورتْ أهل الحجاز فأين منك مرامُها[٣]

وأصبحت مجاورة لأهل الحجاز، والتّرحال ليس بهيّن بين تميم ديار لبيد، والحجاز التي حلّت (نوار) قريبة منها، ولكن لبيد يصبحُ قويا ومستغنيا بعد ابتعاد نوار عنه، وأنّ من يستغنِ عن لبيد فإنّ لبيد مستغنٍ عنه، وهو من تركه ترّاك أمكنةٍ إذا لم يرضها، ولا يجبره أحد على المكث في مكانٍ لا يرضه ولا يجد فيه شغفه ولو على رقبته وعلى موته، وقد برز لونُ حسّه الفني العربي، حين يكشف بـ(أوَ لم تكن تدري نوارُ) عن بنية لغوية تجسّدت فيها الأفعال(بل ما تذكّرُ) إلى (أو لم تكن تدري) التحرر الذ خرق فيه المألوف من الألفاظ، فصنع فضاء وإبداعا جديدا لا يقلُّ أهمية عن إبداعه في وصف الخمر والماء والسِّباع، إذ نرى مفاجأة تلو مفاجأة، فاعلمي يا نوارُ أن لبيدَ لم يعدْ بحاجة إليك، ووصلتْ رسالتُه في هذا البيت الذي فيه ألوان من سنن العرب وهي الاقتصارُ على ذكر بعض الشيء وهم يريدونه كلُّه، كقوله[٤]:

ترّاك أمكنةٍ إذا لم أرضها أو يعتلق بعضَ النفوسِ حمامُها[٥]

فلذا نرى تحول لغة لبيد من شوق وتذكر ولهجٍ بذكر نوار بقوله[٦]:

بل ما تذكّر من نوارَ وقد نأت وتقطعت أسبابها ورمامها

إلى استغناء ومرحٍ وإيجاده البديل عنها، وتحول من استعماله لحرف الإضراب(بل)، إلى استعماله أسلوب الاستفهام الذي يراد به العجب بنفسه والتهكم بتلك الأيام الخوالي الذي كان فيها حبيس قلبه ونفسه لتلك المرأة، فقد وصل لبيد لمرحلة التشافي من ذكر نوار، وأنّه قطع لبانة الذي تعرّض وصله، بقوله[٧]:

فاقطعْ لُبانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصلُهُ ولَشرٌ واصلِ خُلَّةٍ صَرَّامُها

بطليح أسفارٍ، ووصل لمبتغاه وأنه يسامر ويلهو ويغلي السباء بكل أدكن عاتق، وصبوح صافية، ويسمع لأغاني ونغم الجواري.

٣.٣.المطلب الثّالث: تطبيق مبادئ الاستلزام الحواري في المعلقة.

إنّ أكبر تحدي يواجه الشاعر هو قدرته على التعبير(الكيف)، وبأقل عدد ممكن من الكلمات (الكم)؛ وذلك لأن مقام المَثَل و(الشّاهد) مقام اعتراض حواري يقوي الموقف الكلامي ويؤكده، فلما كان الاعتراض هو نفس الحوار لم يكن له أن يطول حتى لا يدخل في حالة من التكرار غير النافع، وكما اجتنب غموض التعبير واللَبس، المعلقة في كثير من جملها أخذت لغة الأمثال، وفيها لون مميز من التفاعل الأدائي تسري في كثير من كلماتها مسرى الأمثال، علما أنها لا ترتبط بحادثةٍ معينة، كغيرها من المعلقات كمعلقة عنترة الذي دافع عن هويته وإثبات الذات ولا صلة للسمات النبيلة والعظيمة والنبل والكرم بسواد البشرة، ومعلقة طرفة الذي لم يمسك لسانه في عمرو بن هند ملك الحيرة،

(١) -ديوانه: ١١٣.
(٢) - ينظر: المذكر والمؤنث: ٢٩/٢.
(٣) -ينظر: المذكر والمؤنث، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري(٣٢٨هـ): ٢/ ٢٩-٣٠.
(٤) -ديوانه: ١٠٦.
(٥) -ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها، باب اقتصارهم على ذكر بعض الشيء وهم يريدون كله: ١٩٣.
(٦) -ديوانه: ١٠٩.
(٧) -ديوانه: ١٠٩.

ومعلّقة لبيد له دور اجتماعي بارز في توجيه الأجيال ونقل خبراته المتراكمة، وأداة هذا التفاعل الاجتماعي هي اللغة؛ وإمكانات لبيد اللغوية قد استوعب بخبرته اللغوية الناقلة وقدّمها بشكل يضمن التأثير، وأنجز مراده وألقت كلماته أثرها في أذن المتلقي، ومبدأ (الكم) هو الفاصل الدلالي الذ يهدف إلى الحيلولة دون نقصان أو زيادة لفائدة المتوخاة من الكلام، ، وقوله[١]:

وكثيرةٍ غُرَباؤهَا مَجْهُولَةٍ تُرْجَى نوافِلُها ويُخْشَى ذَامُها

واختار كلمة (الذّامُ) التي عوّض بها عن العَيْب[٢]، فقد اختار اللفظة التي تؤدي معنى ما يسببه العيب، وهو الذم فعبّر بهذه اللفظة عن الاتساع الدلالي. في المعلقة ذكر بيض النعام في(أطفلت)، وذكرها في قصيدة أخرى له في (رثيدا)، يريد بيض النعام، لانه ينضد بعضه على بعض[٣]، ومنه قوله:

فتنكرا ثقلا رثيدا بعد ما ألقت ذُكاء يمينها في كافر

الاستلزام الحواري يعتمد على القوة التأثيرية المنطقية البارزة في كلماته، التي تجري مجرى الأمثال، وكقوله[٤]:(عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا)، كقوله(٥):(كما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلَامُها) اختار(السِلام) بدل الحجارة فقد وسّع الدلالة، وكقوله[٦]:

(وجَلا السُّيولُ عن الطُّلُولِ كأنّها زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهَا أقْلامُها)،

وهذا هو من أجود أنواع التشبيه، لأنه يعبر عن المعاني الذهنية بالصور المرئية المشاهدة[٧].

وقوله(٨): (وكيفَ سُؤالُنَا؟ صُمَّاً خَوالِدَ ما يُبِينُ كَلامُهَا)، (وَاحْبُ المُجَامِلَ بالجزيلِ)، (حتى إذا سَلَخَا جُمَادَى ستَّةً جَزءاً فطالَ صِيامُهُ وَصِيَامُها)، (وَنُجْحُ صَريمةٍ إبْرَامُهَا)، (وكانتْ عادةً منه إذا هِيَ عَرَّدَتْ إقدامُها)، (أفَتِلْكَ أم وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ)، (باتَتْ وَأسْبَلَ واكفٌ من ديمةٍ يُرْوِي الخمائلَ دائماً تَسْجَامُها)، (يَعْلُو طريقةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرٌ في ليلةٍ كَفَرَ النُّجومَ غَمَامُهَا)، (وتُضيءُ في وَجْهِ الظلام مُنِيرةً كَجُمَانَةِ البحريِّ سُلَّ نِظامُها)، (وأسْحَقَ حَالِقٌ لم يُبْلِهِ إرْضَاعُها وفِطَامُها)، (وَتَوَجَّستْ رِزَّ الأنيسِ فَرَاعَها عن ظهرِ غَيْبٍ، والأنيسُ سَقَامُها)، (تَحْسَبُ أنَّهُ ... مَوْلى المخافة خلفُها وأمامُها)، (حتى إذا يئسَ الرُّماةُ وأرْسَلُوا غُضْفاً دواجِنَ قَافِلاً أعْصَامُها)، (فبتِلْكَ إذْ رَقَصَ اللوامعُ بالضُّحى واجتابَ أردِيةَ السَّرَابِ إكامُها)، (أقضي اللُّبانةَ لا أفرِّطُ ريبةً أو أن يلومَ بحاجةٍ لُوَّامُهَا)، (بادرتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسُحْرَةٍ)، (إذ أصْبَحَتْ بيدِ الشَّمالِ زمامُها)، (ولقَد حَمَيْتُ الحيَّ تَحملُ شِكَّتي ... فُرُطٌ، وشاحي إذْ غدوتُ لجامُها)، الفَرْطُ: آتيك فرط يوم أو يومين، أي: بعد يوم أو يومين، والفَرَط: الذي يتقدم الواردة، فيهيئ الأرسان والدلاء، ويخبرنا هنا عن تأهبه وقت القتال، فُرُطٌ وشاحي إذ غدوت لجامها[٩]، فهو حامل وشاحه الذي يتقلده في القتال، واختار(فرط) إذ يستمر لبيد في سلسلة إبداعاته الإستلزامية. (وَأجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلامُها)، (وردَ الحمَامةَ إذ أجَدَّ حَمَامُها)، (تُرْجَى نوافِلُها ويُخْشَى ذَامُها)، (كأنَّهَا جِنٌّ البَديِّ رواسياً أقدَامُها)، (ولم يَفْخَرْ عليَّ كرامُها)، هم أهل السنن، أو أهل الشرائع، كقوله تعالى: (قد خَلَتْ منْ قبلِكم سُنَنٌ فسيروا في الأرضِ)[١٠]، قد مضت لكل أمة سنّة ومنهاج إذا ابتغوها رضي الله عنهم، أي: قد خلت مِنْ قَبْلِكُم سُنَنٌ بالهلاك فيمن كذب قبلكم، والسنّة في اللغة: المثال المتبع والإمام المؤتم به، فقال: سنّ

(١) -ديوانه: ١١٥.
(٢) -ينظر: غريب الحديث، الخطابي:١/ ٣٢١.
(٣) -ينظر: المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة، ابن جني: ١١٦، ١١٦، وإعجاز القرآن، الباقلاني: ٢٥٧.
(٤) -ديوانه: ١٠٧.
(٥) -ديوانه: ١٠٧.
(٦) -ديوانه: ١٠٨.
(٧) - المثل السائر: ١٢٧.
(٨) -ديوانه: ١٠٨.
(٩) - ينظر: إصلاح المنطق: ٥٧.
(١٠) -سورة آل عمران، من الآية: ١٣٧.

فلان سنّة حسنة أو سنّة سيئة إذا عمل عملا يقتدى به من خير أو شر[١]، بقوله[٢]:

من معشر سنّت لهم آباؤهم ولكل قوم سنّة وإمامها

(لا يَطْبَعُونَ ولا يَبُورُ فَعَالُهُم إذ لا يميلُ معَ الهَوى أحلامُها)، (فاقْنَعْ بما قَسَمَ المليكُ فإنّمَا قَسَمَ الخَلائقَ بينَنا عَلاَّمُها)، (وإذا الأمانةُ قُسِّمَتْ في مَعْشَرٍ أوفَى بأوْفَرِ حَظِّنَا قَسّامُهَا)، (فَسَما إليه كَهْلُهَا وَغُلامُها)، (وهمُ رَبيعٌ للمُجَاورِ فيهم)[٣]. إذا نظرنا إلى قاعدة الملاءمة والطريقة من قواعد الاستلزام، ويظهر لنا هذا اللون البياني مع هذا الإرث اللغوي، وماهيّة قوته التأثيرية، وكيف يُعْرَض الحوار، وكيفية نسج المقدمات الحوارية بنتائجها على نحو يضمن للمتكلم الحد الأقصى على الإقناع نظرا لمنطقية الأداء الحواري في الأمور الحسية، وتوالي الأبيات آنفة الذكر، والتي تصلحُ أنْ تكونَ أمثالا، وكثيرة مشهد الإنسان القوي في الدفاع عن حقوق العشيرة، فالضيف والجار الجنيب، ومن باب اولى ان الفقراء استفادوا، وكأنّهم هبطوا في أرض تبالة التي هي مجاورة للطائف، بقوله[٤]:

فالضَّيفُ والجارُ الجنيبُ كأنّما هَبَطَا تبالَةَ مُخْصِباً أهْضَامُها

وقول لبيد[٥]:

وهم العشيرة أن يبطئ حاسد أو أن يميلَ معَ العدوِّ لئامُها

، والعشيرة الذين يقومون بأمرنا من أن يبطئ حاسد، فقد أبطئوا في أمرهم ولم يعجلوا الغوث؛ حسدا منه لهم، أي: استخرج أخبارهم ليجد فيها عيبا فيذكرهم[٦]. ربط المقدمات بالنتائج في الأداء الحواري وهو (أسلوب الشرط) في الشرط الصريح والضمني (الأسلوب الطلبي)، فهو يعطي توجيه للمتكلم لاستيعابه تجربة الجماعة وقدرته على نقلها في سياق الحوار مع المخاطب، ومن قوله[٧]:

حتى إذا سَلَخَا جُمَادَى ستَّةً جَزءاً فطالَ صِيامُهُ وَصِيَامُها

ونلاحظ طريقة نقل صورة العطش ودلالتها التي كان فيها (فطال صيامه وصيامها)، إذ برزت الدلالة الظاهرة والباطنة، نرى بُعدَ الدلالة دون التعقيد؛ لأنّ تعقيد الدلالة مذمومٌ وبعد الدلالة مطلوب، وعند تدبر المعلقة نلحظ الصورة الإبداعية طول التدبر؛ لعمق المعنى عند القدماء بسبب البعد في المعنى والمرمى، بيد أنّ نصوص المعلقّات تشكّل وحدة واحدة، وما وجدناه من التتابع لحالاته على القضيّة والمضمون، ونرى تشابها في بعض الألفاظ وتنوعا في صورة الخصب بارتفاع الجرجير البري لتتابع المطر، وكما نرى(أطفلت الظباء)، واستعار للنّعام(أطفلت)، وعلما أنّ النّعام تبيض، والشأن في لوحة لبيد هو الماء الجار في وادٍ مسكوتٍ عنه تتضمن الوادي الجلهتان، لبيد تحدث عن الحيوانات الوحشية: العِين(الأبقار الوحشيّة)، والأُرْآم– (الظباء البيضاء)، والأطلاء أولاد البقر الصغار، والأتان، والنّعام، وبسبب زيادة الخصب عاشت هذه الحيوانات وتكاثرت، ورأينا السري فذكره ولم يذكر كلمة (النّهر)؛ لأنّه قصد النهر الصغير، وذكر اليراع(القصب)، والعين المسجورة، ومن قوله[٨]:

فمضى وَقَدَّمَهَا وكانتْ عادةً منه إذا هِيَ عَرَّدَتْ إقدامُها

حتى إذا انحسَرَ الظلامُ وَأسْفَرَتْ بَكَرَتْ تزلُّ عن الثَّرَى أزْلامُها

ومن قوله[٩]:

(١) -ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٣/ ١٧١.
(٢) -ديوانه: ١١٦.
(٣) -ديوانه، شطر الأبيات الآنفة الذكر: ١٠٧-١١٦.
(٤) -ديوانه:١١٥.
(٥) -ديوانه: ١١٦.
(٦) -ينظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٥٩٧.
(٧) -ديوانه: ١١٠.
(٨) -ديوانه: ١١٠.
(٩) -ديوانه: ١١٢.

حتى إذا يئسَ الرُّماةُ وأرْسَلُوا غُضْفاً دواجِنَ قَافِلاً أعْصامُها

ومن قوله[١]:

حتى إذا ألْقَتْ يداً في كافرٍ وَأجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلامُها
أسْهلْتُ وانْتَصَبَتْ كجذعِ مُنِيفَةٍ جَرْدَاءَ يَحْصَرُ دونها جُرَّامُها

وقوله[٢]:

إنّا إذا التقتِ المجَامِعُ لم يَزَلْ منّا لِزَازُ عظيمةٍ جَشّامُها

وقوله[٣]:

وإذا الأمانةُ قُسِّمَتْ في مَعْشَرٍ أوْفَى بأوْفَرِ حَظِّنَا قَسّامُهَا

يظهر مراعاة الكمّ والجنوح للتعبير دون اختصار مخل أو إسهابٍ ممل مع مراعاة كون النظم قادرا فعالا، ومن ثم فمعظم الأمثال تكون (جملة)، وتحيا الجملة بالمبتدأ والخبر والفعل والفاعل، وفعل الشرط وجوابه، وتعتمد على عرض المقدمات والنتائج، وقوله: (إذ أصبحت بيد الشمال زمامها) وهذه الصُّورة الفنية هي استعادة لمدرك حسي بعد غيابه، وأخبرنا عن قوله: ترَّاك أمكنةٍ، إذا لم أرضها أو، يرتبط بعض النُّفوس حمامها

((هل أردت ببعض معنى كلّ؟ فيقول لبيدٌ: كلا، إنَّما أردت نفسي، وهذا كما تقول للرَّجل: إذا ذهب مالك، أعطاك بعض الناس مالاً، وأنت تعني نفسك في الحقيقة، وظاهر الكلام واقعٌ على كلّ إنسان، وعلى كلّ فرقة تكون بعضاً للناس فيقول، لا فتىء خصمه مفحماً: أخبرني عن قولك: أو يرتبط، هل مقصدك: إذا لم أرضها أو يرتبط، فيكون: لم يرتبط؟ أم غرضك: أترك المنازل إذا لم أرضها، فيكون يرتبط كالمحمول على قولك: ترَّاك أمكنةٍ؟ فيقول لبيدٌ: الوجه الأوّل أردت))[٤].

٤. الخاتمة

وأهم النتائج التي تمَّت في البحث وطرح الفرضيات، وتوضيحها وهي الآتي:

أولا: يُراد بالاستلزام الحواري بيان الأغراض التَّواصليّة التي تحققها، وكيفية توصل المتلقي إلى المعنى المقصود منها، وتجليات الصورة الفنية، وفكرة الاستلزام الحوارية جوهرية وهي أنّ جمل اللغة تتضمن معنيين: المعنى الظاهري غير مقصود، ومعنى ضمني هو المقصود، ومقام الذي يكون عليه الشاعر، ومناسبة القصيدة، والمعنى الضمني، فهو يبسط وتوضيح الألفاظ وفك الشفرات عن طريق البُنية في القصيدة، ومعنى ظاهرة وهذا نلمسه في المعلقة من ذكره الخمر واللهو وأنّه يصل من يريد ويقطع من يريد، وأمَّا المعنى الضمني وغير الظاهري هو اللامبالاة التي بينها لبيد تجاه نوار.

ثانيا: الاستلزام الحواري أحد الآليات اللغوية للتحليل التداولي على وجه الدقة، وفيه تظهر فاعلية الكناية والاستعارة والرمز والإطناب، وكما في (بيد الشمال زمامها) فهي ظواهر لغوية مرتبطة بأحوال المخاطبين.

ثالثا: يؤسسُ الاستلزام الحواري لتواصلٍ وتفاعلٍ ضمني أو غير معلن بين المتخاطبين؛ لأنَّ نظرية الاستلزام الحواري على المعلقات تطبيق علمي وعملي، وتنصُّ المقاربة التداولية والوظيفية أن النص أو الخطاب الأدبي استلزام حواري وإنجازي، اشتمل البحث على تطبيقات من المعلقة تناولت خرق قواعد غرايس وتوليد الاستلزام من الحواري من مبدأ الكم والكيف والمناسبة والحال، كما في قوله (أو جونة قدحت وفضَّ ختامها)، حيث قدَّم الغرف من جونة الخمر على فضِّ الختام، والذي يخفي وراءه شخصية العربي القوية صاحبة القرار.

(١) ديوانه: ١١٤.
(٢) ديوانه: ١١٦.
(٣) ديوانه: ١١٦.
(٤) رسالة الغفران: ٨٥.

رابعا: يتعلق الاستلزام الحواري بالدلالات الصريحة والضمنية، فهو يتعلق بالدلالات الضمنية التي يستلزمها ويتحكّم فيها المقام والسياق التداولي، وثمّة يرتبط الاستلزام الحواري بنظرية الأفعال كما هي عند أوستين، أي: ينتقل الكلام من نطاق كلام مباشر إلى معنى حواري استلزامي غير مباشر، قد يكون المعنى صريحا، أو ضمنيا، وتحققت في هذه المعلقة بُعد الدلالة، عمق المعنى بسبب البعد في المعنى والمرمى.

خامسا: التأكيد على وصف اللغة بأنها ظاهرة اجتماعية، وهو يُكَمِّلُ ما أغفلهُ علمُ الدلالة، أو غضّ الطرف عنهُ، ومن اهتمام علماؤنا بهذه الظواهر التداولية وإن اختلفت مسمياتها في هذا الوقت فقد أوضحوا طرفي الخطاب، وقواعد لكل مقام مقال، وما يقتضيه المقام، وهذه العوامل مؤثرة في نشوء ظاهرة الاستلزام الحواريّ في العمليّة التخاطبيّة، وأوضحوا دورها في إنجاز الأغراض التي لا يمكن للمتكلم إنجازها لو تقيد بقواعد الحوار بحرفيّتها، وكما هو عند الطِّيبيّ في حاشيته والراغب الأصفهاني فقد تتبعا مواطن مبادئ الحوار في الخطاب القرآنيّ، ووصْفا الظاهرة وتحليلها، تحليلًا يضبط علاقة المعنى الصريح بالمعنى المستلزم مقاميًّا.

سادسا: تحققت في هذه المعلقة دلالة المطابقة التي تُؤخذ من اللفظ على كل المعنى، وكذا تحققت دلالة التضمن التي تؤخذ من اللفظ على جزء المعنى، ودلالة الالتزام التي تؤخذ مما يلزم من اللفظ ذهنا.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١-إعجاز القرآن للباقلاني: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، ط: ٥، ١٩٩٧م.

٢-إصلاح المنطق: ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ)، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط:١، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م.

٣- آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل: نعوم تشومسكي، المترجم: عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع – اللاذقية، ط: ١، ٢٠٠٩ م.

٤-البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي – القاهرة – مصر، ط:٢، ١٤١٧ هـ _ ١٩٩٦ م.

٥-تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، د: ط، د: ت.

٦-تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، ط: ١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، جزء ٢، ٣: من أول سورة آل عمران – وحتى الآية ١١٣ من سورة النساء، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي، دار الوطن – الرياض، ط:١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، جزء ٤، ٥: (من الآية ١١٤ من سورة النساء – وحتى آخر سورة المائدة)، تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى، ط: ١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٧-التعريفات: أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (ت٣٩٢ هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ١، ١٤٠٥م.

٨-دلائل الإعجاز في علم المعاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط: ٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٩-ديوان لبيد بن ربيعة العامري: لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة (ت ٤١هـ)، دار المعرفة، ط:١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

١٠-رسالة الغفران: أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان، أبو العلاء المعري، التنوخي (ت ٤٤٩ هـ)، تحقيق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤٢٢ هـ –٢٠٠١ م، د:ط.

١١-الزاهر في معاني كلمات الناس: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت
ط:١، ١٤١٢ هـ –١٩٩٢.

١٢-سلم الوصول إلى طبقات الفحول: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (ت١٠٦٧ هـ)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، ٢٠١٠ م.

١٣-سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى(ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط:٢، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

١٤-شرح التلويح على التوضيح: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩٣هـ)، مكتبة صبيح-مصر، د:

١٥-شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، ط: ١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

١٦-الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣

١٧-الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، محمد علي بيضون، ط:١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

١٨-صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت ٨٢١ هـ)، تحقيق: د. يوسف علي طويل، دار الفكر –دمشق، ط: ١، ١٩٨٧م.

١٩-طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (ت ٢٣٢ه)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني –جدة، د: ط، د: ت.

٢٠-عيون الأخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦ه)، دار الكتب العلمية -بيروت، ١٤١٨ هـ.

٢١-العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٢-غريب الحديث: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر – دمشق، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

٢٣-غريب الحديث: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني –بغداد، ط: ١، ١٣٩٧ه.

٢٤-فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال: محمد علي طه الدرة، مكتبة السوادي جدة – السعودية، ط:٢، ١٤٠٩ هـ– ١٩٨٩ م.

٢٥-توح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣ هـ)، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط: ١، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م.

٢٦-قواعد الشعر: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب (ت ٢٩١هـ)، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط: ٢، ١٩٩٥م.

٢٧-كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي: عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (ت٧٣٠ هـ)، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤١٨ هـ/١٩٩٧

٢٨-اللسانيات الوظيفية-مدخل نظري-: د. أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد-المتحدة، ط:٢، ٢٠١٠م.

٢٩-مجمل اللغة لابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق:

زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: ٢- ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

٣٠-معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣١-منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن (ت ٦٨٤هـ).

٣٢-المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، قرأه وشرحه وعلق عليه: مروان العطية، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط: ١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٣٣-المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط: ٣، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٣٤-المذكر والمؤنث: أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (ت ٣٢٨ هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، جمهورية مصر العربية – وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

٣٥-المذكر والمؤنث: ابن التستري الكاتب(٣٦١هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي بالقاهرة دار الرفاعي-الرياض، ط: ١، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

٣٦-المرشد إلى فهم أشعار العرب: عبد الله بن الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب (ت ١٤٢٦ هـ)، دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، ط: ٢، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩

٣٧-المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية): الدكتور جميل صليبا (ت ١٩٧٦ م)، الشركة العالمية للكتاب – بيروت، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.

٣٨-المقاربة التداولية: فرانسواز أرمينيكوا، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي -الرباط، د: ط، ١٩٨٦م.

٣٩-نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس: د. صلاح إسماعيل، دار قباء-القاهرة، د: ط، ٢٠٠٧م.

٤٠-نقد الشعر: قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (ت ٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب – قسطنطينية، ط: ٢.

٤٠-نظريات النقد الأدبي في مرحلة مابعد الحداثة: د. جميل حمداوي، تقديم: د. أحمد الكبداني، المصدر: الشاملة الذهبية.